

خلف شو-سین ابنه ابی - سین الذی حکم مدة اربع وعشرين سنه ( ٢٠٢٩ - ٢٠٠٦ ق . م ) قدر لها ان تكون نهاية لآخر واعظم فتره سومرية في التاريخ وتدل النصوص الكتابيه على ان الامور كانت تسير بشكل طبيعي في بدايه فترة حکم هذا الملك بدليل استمرار الموظفين في عهد ابيه في مناصبهم وكذلك استمرار وصول الضرائب الى العاصمة من اجزاء الامبراطورية ولكن بالدرج بدأت سلطه الملك ابی - سین بالتدھور اذ ان كثیرا من المدن اعلنت عدم اعترافها بحکمه ابتداء من السنه الثانية من اعتلائه العرش . والدليل على ذلك ان الوثائق المالية والادارية في كثیر من المدن مثل اشنونا ، وسوسه ( في عيلام ) ولکش واوما ونفر لم تعد تؤرخ بحوادث سني هذا الملك . وبتعیير اخر ان هذه المدن لم تعد تلتزم بالتقویم المركزی للعاصمه او ر وبالتألي عدم اعترافها بالحکم القائم فيها . ان خروج مدن مهمه عن طاعة الملك ابی - سین وخاصة تلك التي تقع في قلب امبراطوريه اور الثالثه ( مثل اوما ، لکش ، نفر ) يدل لالة واضحة على السلطه المتدهورة لهذا الملك . ومن الادله الأخرى على ضعف السلطه المركزيه هو ان امراء مدن عديده توقيوا اعتبارا من السنه السادسه لحكم الملك ابی - سین عن ارسال التذور المعتمده الى الاله ننا ( الـ القمر ) في العاصمه او ر . وانهیرا فقد اصبح الوضع اکثر خطورة من ذى قبل على الحدود الغربيه للملکه وذلك نتيجة

لتكرار قبائل «المارتو» هجماتهم على بلاد سومر . ومن الواضح ان امبراطوريه اور الثالثه . في زمن حكم الملك ابي - سن لم تعد بعد قادرة على اتخاذ اجراءات دفاعية رادعة ضد هذه القبائل . ان الخطر المحدق من الجهة الغربية ينعكس باعمال التحصين الداخليه التي قام بها الملك ابي - سن ، إذ تسجل النصوص التاريخيه بان هذا الملك شيد في السنة السابعة من حكمه الاسوار حول المديسين الرئيسيتين نفر واور . دلاله ولاشك على وجود الخطر الذي نتج عن تغلغل المارتو في البلاد .

وتعتبر الرسائل التي تبادلها الملك « ابي - سن » مع حكام ولاياته من اهم المصادر التاريخيه في زمن سلاله اور الثالثه خاصة فيما يتعلق في الوضع الداخلي المتدهور . ونجد في هذه الرسائل الاسباب المباشرة التي ادت بالتالي الى سقوط سلاله اور الثالثه كما أنها تعطينا معلومات مهمة عن ظهور « اشبي - ايرا » على المسرح السياسي والظروف التي ساعدته على استغلال الوضع الداخلي المضطرب لتوطيد حكمه ، في مدنه ايسن ثم اغتصاب الحكم من الملك ابي - سين وانجرا تأسيس للسلاله المعروفة بـ سلاله ايسن التي خلفت سلاله اوو الثالثه في حكمها لبلاد وادي الرافدين .

ونفهم من احدى الرسائل التي بعثها اشبي ايرا ( وهو امورى الاصل يرجع الى مدنه ماري ) الى الملك ابي - سن ان العاصمه اور على وجه الخصوص كانت تعاني من نقص شديد في العبوب مما حدا بالملك الى ان بعث اشبي ايرا الى منطقة الكوت لشراء كميات منها . وتدلنا رسالته اشبي ايرا على ان الحاجة الى هذه المادة الغذائيه كانت مشدida جدا في العاصمه اور بحيث ان الملك ابي - سين قبل ان يدفع سعرآ مضاعفاً لشرائها . وفي هذه الرسالة ايضا معلومات مهمة عن تغلغل قبائل المارتو ( القبائل الاموريه ) في المدن السومريه . اذ يقول اشبي ايرا الى الملك ابي - سن بان هذه القبائل اخذت تحتل التحصينات وتتغلغل في وسط القسم الجنوبي من البلاد ان تغلغل قبائل المارتو قد احدث دون شك بليلة

واضطراباً في الداخل فانتهز اشبي ايرا هذا الوضع المضطرب وحراجة موقف الملك ابى - سين في العاصمه اور فطلب في منهنهایه رسالته ان يجعله مسؤولاً عن الدفاع عن مدینتي ايسن ونفر . ولم يكن امام ابى - سين الاقبول الامر الواقع . لقد اثبت اشبي ايرا جداره فيما عهد به اليه الا انه في الوقت نفسه بدأ بتوطيد نفوذه فيما بعد والانفصال عن السلطة في اور . وتشير الرسائل الرسميه الأخرى من هذا العصر الى ان اشبي ايرا اصبح من القوة بمکان بحيث اعلن استقلاله عن الملك في اور في السنة الحادية عشرة من حکم ابى - سين (في حدود ٢٠١٧ ق . م ) . وأخذ يؤرخ النصوص والوثائق بسنوات حکمه . واتبع اشبي ايرا سباسه الاعتماد على حکام المدن الذين سبق وان اقصاهم الملك ابى - سين من مناصبهم .

وعلى هذا النحو بقيت السلطة مجزأة بين الملك ابى - سين الذي كان نفوذه ، مقصوراً على العاصمه اور بالدرجة الاولى وبين اشبي ايرا في ايسن .

وفي حدود ٢٠٠٦ ق . م هجم العيلاميون على العاصمه اور فلما رواها واحرقوها وأخذوا معهم ابى - سين اسيرا الى بلاد عيلام . وبهذا انتهى حکم سلاله او ار الثالثه التي تعتبر اخر سلاله سومريه في التاريخ . هذا وقد تردد صدى الفاجعة التي حللت بالعاصمه اور وبمعبداتها الشهير معبد الله القمر ننا في تأليف ادبي سومري يعرف به « مرثيه اور » التي يصف فيها الاديب السومري ما حل بهذه المدينة العظيمة من خراب على يد العيلاميين الذين حولوها الى انقاض .

## الفصل السابع

الاشوريون

وطنهم في العراق - دولهم في العصر البابلي

القديم

## الفصل السابع

### العصر البابلي القديم (١)

يقصد بالعصر البابلي القديم الحقبة الزمنية التي اعقبت سقوط سلالة اور الثالث على يد العيلاميين في حدود ٢٠٠٦ ق. م وحتى سقوط العاصمة بابل على يد الحيثيين عام ١٥٩٥ ق. م . وبتعبير اخر فان العصر البابلي القديم استمر ستة قرون.

ويتميز هذا العصر بسيطرة الاموريين على البلاد وباختفاء السومريين نهائياً عن المسرح السياسي . وقد استطاع الاموريون ان ينشروا عدة ممالك او سلالات حاكمة كان يعاصر بعضها البعض مما تسبب في منازعات وحروب سنّانية على ايحازها بعد قليل . والحقيقة هي ان الجزء الاول من هذا العصر ( ابتداء من ٢٠٠٦ ق. م وحتى قيام حمورابي وقضائه على سلالة لارسه عام ١٧٦٣ ق. م ) وهي فترة تقرب من قرنين ونصف القرن تميز بانقسام البلاد الى وحدات سياسية تذكرنا باحوال وادي الرافدين في العصر الذي سميته عصر السلالات وعصر سلالتي ايسن ولارسه اللتين كانتا من ابرز السلالات المعاصرة في تلك الفترة .

رأينا من خلال حديثنا عن سلالة اور الثالث ان قبائل المارتو ( الاموريين ) كانوا من الاسباب المباشرة في سقوط تلك السلالة حيث بدأ خطرهم واضحاً في تهديد سلامة البلاد في زمن الملك شومن رابع ملوك هذه السلالة مما اضطره إلى طردتهم من بلاد سومر . اما في زمن خليفته ابي سين فقد رأينا كيف بدأوا

( ١ ) راجع تفصيل ذلك في « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، الجزء الاول ( ١٩٧٢ ) اتفه باقر .

بالتغلغل في بلاد سومر باعداد كبيرة واحتراق التحصينات حول المدن وآخرها اربالك الاوضاع السياسية والاقتصادية لامراطوريه اور الثالثه مما سهل استئصالها على يد العيلاميين .

والمعروف عن قائل الاموريين انهم كانوا يجوبون بوادي الشام ولذلك فانهم كانوا من دون شك اقل تحضرا من سكان المدن . وقد وصلنا نص سومري يصور لهم بهذه الصورة البدوية فهم ، على حد تعبيره « كانوا سكان خيام لا يعرفون بناء البيوت وكانوا يأكلون اللحم نيتا ولا يدفنون موتاهم .. ». ان هذه النظرة السومريه عن البدو الاموريين لاينبغي تفسيرها ، كما حاول بعض الباحثين ، بانها تنم عن تعصب عنصرى وانما هي تصور واقع الحياة لهذه القبائل البدوية التي كانت اقل تحضرا من البلاد التي جاءوا للاستيطان فيها . وقد ذكرنا في موضع ان كلمة امرو التي اطلقت على هذه القبائل تعنى « الغرب » اي الجهة الغربية التي جاءوا منها الى العراق . فالمعروف عن هذه القبائل انها كانت تستوطن بلاد الشام وانها دخلت الى العراق بالدرجة الاولى من البوادي الكائنة الى شمال غربى الفرات وبادية العراق وفي اعلى الفرات وشمالى ما بين النهرين . وقد ذكرنا عند حديثنا عن الاشارات المبكرة في الكتابات المسمارية عن الاموريين انهم كانوا يستوطنون المناطق المعروفة باسم « باسار » وهي السلسلة الجبلية المعروفة الان بجبال بشرى التي تمتد من شمال شرقى تدمر الى الفرات .

ويمكن التمييز بين موجتين رئيسيتين للاموريين الذين نزحوا الى العراق . الموجة الاولى هي التي بدأت في زمن حكم ابي - سين اخر ملوك سلالة اور الثالثه والتي نتج عنها ، كما سرى بعد قليل ، قيام سلالتين متعارضتين هما سلالة ايسن وسلالة لارسه . اما الموجة الثانية فقد جاءت من مناطق الفرات الاعلى والوسط بعد قرن من الموجة الاولى ونتج عنها قيام سلالة حاكمة في بابل على يد احد الشيوخ الاموريين وهو سومو - ابوم . وقد شمل استيطان الاموريين منطقه واسعة من السهل الرسوبي لبلاد سومر واكد كما شمل مناطق شرقى دجلة ومناطق الفرات الاوسط

مثل ماري ( تل الحريري ) وعاته . وحفظت النصوص المسمارية اسماء عدد من القبائل الاموريه مثل « يموت بعل » التي استوطنت شرقى دجله في المنطقة المتاخمه لبلاد عيلام ، وقبيلة « امنا نوم » في مدینه سبار ومدینه الوركاء ، وقبيله يخورم في المنطقة الواقعه ما بين الزاب الاسفل وديالى . كما اوردت النصوص المسمارية اسماء قبائل اموريه اخرى مثل العانين الذين استوطنوا في خانه ( عاته ) والسوتين في منطقة غربى الفرات الاوسط .

وبعد هذا العرض الموجز للقبائل الامورية ، نأتي الان على ذكر اهم السلاطات التي اقامها الاموريون في هذا العصر وهي ( ١ ) سلالة ايسن ( ٢ ) سلالة لارسه ( ٣ ) مملكة اشنونا ( ٤ ) مملكة ماري ( ٥ ) سلالة بابل الاولى ( ٦ ) المملكه الاشوريه وتجنبنا للتكرار رايينا انه من الاوافق ان نفرد فقره موحدة لسلاتي ايسن ولارسه لترابط الحوادث بين هاتين السلاطتين اللتين احتلتا مركز الصداره في الجزء الاول من العصر البابلي القديم . كما اننا سوف لانتطرق الى تفاصيل المملكه الاشوريه الا بقدر ما هو ضروري لتوضيع مجريات الامور اذ ان الحديث عن نشوء هذه المملكه سوف ترد تفاصيله عند الحديث عن تاريخ الاشوريين في موضع لاحق من هذا الكتاب .